

تاريخ القبول: 2022/08/25

تاريخ الإرسال: 2020/09/28

تاريخ النشر: 2022/10/07

**الأبعاد القيمية في كتاب اللغة العربية لمرحلة التعليم المتوسط
من منظور دلالي**

**The Value Dimensions in Arabic Textbooks of
the Middle Phase by a Semantic Perspective**

د. حياة لشهب

المركز الجامعي ميلة (الجزائر) LECHEHEBHAYET@YAHOO.FR

الملخص:

يروم هذا البحث إلى الوقوف على أهم القيم الاجتماعية في كتب اللغة العربية لمرحلة التعليم المتوسط، وذلك باستقراء النصوص الواردة في هذه الكتب واستنتاجها، وتحليلها من أجل الكشف عن القيم المضمرة في مضامينها، وبناءها المعجمية والنحوية وأبعادها الدلالية، ومعرفة مدى خدمة هذه النصوص للمتعلمين وقدرتها على غرس وتعزيز مختلف القيم في نفوسهم، وتزويدهم بما يضمن لهم تنشئة سليمة داخل المجتمع، ومدى تماشيها مع معطيات الحياة متطلباتها في المجتمع الجزائري. لذا سنقف على قضايا أهمها: الكتاب المدرسي ودوره في غرس القيم لدى متعلمي مرحلة التعليم المتوسط. الأبعاد القيمية في كتب اللغة العربية في هذه المرحلة. مدى موافقة النصوص التعليمية لواقع المجتمع الجزائري وثقافته ومقوماته، وخلق فرد واع بمبادئه الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: أبعاد قيمية، كتاب لغة عربية، مرحلة المتوسط، منظور دلالي

Abstract:

This research aims to identify the most important social values in Arabic language books of the middle education phase, by extrapolating, checking and analyzing the texts that these books contain in order to reveal the values that their contents include , their lexical and grammatical structures and their semantic dimensions, and to know the extent of these texts serve learners, and their ability to instill and promote the various values in them and provide all things that attribute good upbringing for them in the community, and the extent of their compatibility With the data of life and their requirements in Algerian society. So we will touch on the most important issues:

- The textbook and its role in instilling values among middle phase learners.
- Value dimensions in Arabic language books at this stage.
- The extent to which educational texts conform to the reality of Algerian society, its culture and its components, and create an individual aware of its social principles.

Keywords: Arabic language book, middle phase, social value, lexical study, semantic study

المؤلف المرسل: حياة لشهب: lechehebhavet@yahoo.fr

1. مقدمة:

لقد حرصت المجتمعات تمام الحرص على الحفاظ على مختلف القيم التي تحكمها داخليًا لضمان استمراريتها، لذا عمدت على توريثها لأبنائها من الأجيال القادمة، نظرا لقيمتها وأهميتها البالغتين والمتمثلة في ضمان الاستمرارية لهذه المجتمعات والحفاظ على كيانهما ولحمتهما، فللقيم أهمية بالغة في كيان المجتمعات حيث "يعتمد المجتمع في تكامل بنائه الاجتماعي على التشابه في المنظومة القيمية

بين أفرادها، فكلما اتسع مدى التشابه بينهم، ازدادت وحدة المجتمع تماسكاً، فيما يؤدي تباين تلك المنظومات القيمية بينهم إلى اختلاف في القيم وصراع بين أفراد المجتمع، الأمر الذي يؤدي إلى تفككه¹. يتشرب الفرد مبادئه وقيمه إذن من خلال التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة وفي المؤسسات الثقافية والاجتماعية، ومن خلال وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني، ومن المؤسسات التربوية، لكن في الحقيقة تبقى المنظومة التربوية، هي التي تشكل الجانب الأساس في ترسيخ القيم الاجتماعية وذلك في حال إذا ما أدت وظيفتها ودورها على أكمل وجه؛ فالمدرسة في الأصل يمكن عدها "مجالاً لنقوية العلاقات الاجتماعية وربط الأجيال بماضيها وتراثها، وقيم مجتمعتها، وتهينتها علمياً وأخلاقياً لفهم الحاضر والتكيف معه أو تطويره"²، فبها يتلقى المتعلم إلى جانب المادة المعرفية، قيماً تربوية اجتماعية من شأنها أن تقوم سلوكياته داخل المجتمع، وتضبط تعاملاته مع مختلف شرائحه، بالاستناد إلى جملة من البرامج والأنشطة والنصوص...، ولعل أهم الوسائل المعتمدة في ذلك، الكتاب المدرسي على أساس أنه أكثر الوسائل استعمالاً من قبل المعلم والمتعلم على حدّ سواء، وبالخصوص كتب اللغة العربية التي تحتوي نصوصاً ذات مرجعيات مختلفة تلخص تجارب إنسانية في معظمها، ما يعزز فرضية اشتغالها على جملة من القيم المتعددة الأبعاد التي مررت وفق مستويات مختلفة من الخطاب.

منهج البحث: أعدّ هذا البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي معتمداً على بعض

الأطروحات التعليمية والكتب المدرسية، التي من شأنها أن تتبرر تشعبات الدراسة.

طرح الإشكال: تتمحور إشكالية هذا البحث حول الأبعاد القيمية ودلالاتها المضمرة في المضامين، والبنى المعجمية والنحوية للنصوص المقدمة في كتاب اللغة العربية لمرحلة التعليم المتوسط، ودورها في زرع وترسيخ معاييرها للطفل الجزائري وفقاً لما يتطلبه واقعه الاجتماعي والحضاري، وما تفرضه عاداته وتقاليده ومعتقداته. ومن هنا نتساءل: ماهي أهم القيم التي

تتضمنها كتب اللغة العربية في مرحلة المتوسط؟ وماهي الأبعاد والدلالات المحملة في بنائها

المعجمية؟ ما مدى مساهمة الكتب المدرسية في زرع القيم وترسيخها لدى المتعلمين؟

فرضيات البحث: يطرح هذا البحث جملة من الفرضيات تتمثل في:

- للكتب المدرسية دور كبير في المساهمة في تنشئة الطفل الجزائري وبناء سلمه

القيمي.

- تناول الكتب المدرسية من خلال النصوص المقدمة داخلها عدة أبعاد قيمية

كالبعد الأخلاقي، البعد الديني، البعد الاجتماعي، الوطني، الإنساني...إلخ.

- ترميز هاته القيم وفق مستويات مختلفة من الخطاب.

أهمية البحث وضرورته: يستمد البحث قيمته وأهميته من موضوعه المطروق وهو

الأبعاد القيمية في كتب اللغة العربية في المرحلة المتوسطة، حيث نحاول فيه إبراز

دور الكتب المدرسية في بناء المتعلمين، وغرس مختلف القيم لديهم من أجل بناء

أفراد صالحين قادرين على حمل لواء المجتمع، مع تبيان تحقق ذلك في هذه الكتب.

2. أبعاد القيم الاجتماعية في كتب اللغة العربية في مرحلة المتوسط:

إنّ العائد إلى الكتب المدرسية المقررة وفق منهاج الجيل الثاني سيلحظ بدقة

إنها لا تخلو بتاتا من منظومة قيمية، خاصة كتب اللغة العربية منها، وسوف نختار

في بحثنا هذا كتاب اللغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط، لنستقرئ مضامين

نصوصه من أجل تحديد مختلف القيم المتضمنة داخلها، لما لهذه المرحلة من أهمية

بالغة في المسار التعليمي للمتعلمين، إذ تكاد تكون المرحلة الفارقة بين مرحلة

الطفولة مرحلة الاكتساب والتلقي ومرحلة النضج مرحلة تفعيل المكتسبات، ولعل أهم

الأبعاد القيمية التي يمكن تسجيلها:

2. 1- القيم الأخلاقية: ويمكننا أن ننظر للقيم الأخلاقية على أنها "مجموعة من

المبادئ تعمل على احترام الإنسان لنفسه، وللآخرين كقيمة يتميز بها الإنسان

وتكون الوازع النفسي الذي يمنعه من الانحراف عن الصلاح، وذلك لصياغة سلوكه وتصرفاته في إطار محدد يتفق وينسجم مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها بقية أفراد المجتمع³، وبما أنّ لهذه القيم دور كبير في سلامة المجتمعات وبعد أبنائها من الانحرافات، كونها المعيار الذي يقوم سلوكياتهم، فقد أولت الهيئات واللجان المكلفة بإعداد هذه الكتب واختيار النصوص المقدّمة فيها دورا كبيرا للقيم الأخلاقية التي نجدها تحظر بشكل مكثّف وملفت للانتباه، لما لها من أهمية بالغة في تنشئة المتعلم تنشئة سليمة، حتى أن هناك كتباً أدرج ضمنها مقطع خاص بعنوان "الأخلاق والمجتمع"، نوقشت فيه جملة من القيم الأخلاقية السلبية التي يجب تجاوزها والابتعاد عنها، والقيم الإيجابية التي يجب التمسك بها وتعلمها والالتفاف حولها، كونها المعيار الأول للتعاملات الاجتماعية والمرشد للعلاقات داخل الجماعات، ممّا يجب أن يتعلمه المتعلم ويأخذه حتى يمتلك سبل المعاملات وضوابطها.

لقد كان لكتاب السنّة الثّانية من التعليم المتوسط نصيب من الاهتمام بهذا الجانب القيمي، حيث ضمن سنة نصوص تعليميّة حملت في مضمونها ما له علاقة بهذا المجال، ثلاثة أدرجت ضمن النص المقروء والأخرى ضمن المكتوب، منها: "المروءة"⁴، "وصيّة أب"⁵، وهي الوصايا السبع الشهيرة لذي الأصبع العدواني لابنه لما حضره الموت وهو يحثه على نيل الأخلاق وكرمها، "أسفي على الأخلاق"⁶. ونص "أخلاق صديق"⁷، ويعالج الأخلاق الإيجابية والسلبية.

وكذلك الأمر بالنسبة لكتاب السنّة الأولى، الذي تضمّن هو الآخر نصوصا يدور مضمونها حول هذا البعد الاجتماعي الذي عالج جملة من القيم الأخلاقية، منها "آيات من سورة الحجرات"⁸ (سورة الآداب كما تسمى)، التي تحمل في مجملها دلالات التآدب وحسن السلوك والمعاملات بين الناس عن طريق طرح التناز باللقاب في قوله: (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ

نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ)، وترك السخرية: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْمُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) واجتتاب الظنّ في: (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)، الابتعاد عن التجسس والغيبة: (وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا)، فالملاحظ على هذه الآيات، أنها جاءت كلّها بصيغة نهي ينهى فيها الله سبحانه وتعالى عن هذه الصفات السلبية، في دعوة صريحة لترك هذه الصفات القبيحة، وعوضها بقيم إيجابية كالأخوة والتصالح، والتقوى، والتعارف في: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ) وفي قوله: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)، وهنا دعوة إلى التعارف، الذي لا يتم إلاّ وفقا لترك القيم السلبية السابقة، فمن خلال هذا النص (آيات من سورة الحجرات 11-12-13) نخلص إلى نوعين من القيم ترسي قواعد التعامل بين الأفراد؛ قيم إيجابية، بتعلمها وتطبيقها يمكن بناء مجتمع متماسك مترابط، وأخرى سلبية ينادى بتجاوزها، وهي تقريبا الطريقة المجددة في كلّ النصوص.

فبالعودة إلى النصوص المقدّمة في هذا المجال، سوف نلاحظ أنّ القيم فيها قد مرّرت بطرق شتّى، منها ما قدّم في خطابات مباشرة كما ورد في آيات سورة الحجرات، التي هي عبارة عن دعوة مباشرة بكلمات لا تتجاوز دلالتها الأولية، يقصد بها تحقيق القصد المباشر، غرضها تعليمي تأديبي بالدرجة الأولى، وهو الالتزام بهذه المبادئ الأخلاقية، حيث جاءت فيها الدلالات أساسية مستعملا الكلمات في مستواها الأول قائمة على الخطاب المباشر، لا تحتاج إلى التأويل وإعمال الفكر، أريد من خلالها تقويم السلوك وتربيّة النشأ على مكارم الأخلاق، لذا جاءت على هذه الصيغة. ومنها ما قدّم بطريقة غير مباشرة إيحائية تحتاج إلى التأويل، ننطلق فيها من ما هو ظاهر لنصل إلى الدلالة الماورائية، لاعتمادها على جملة من الفنيات

التي خرجت بالكلام من معناه الأولي الظاهري إلى آخر إيحائي، كاستعارة والمجازات، موظفا تصويرات محسوسة لينقل القيم المعنوية، فإذا أخذنا نص "العبودية"، نجده قائما مثلا على جملة من الانزياحات المعنوية الناتجة عن استعمال الكلمات في غير دلالتها الأساسية، بإسناد الأفعال لغير فاعليها أو استعارة صور مجازية، ينقل بها الدلالات المرادة؛ إذ يقول: "دخلت منازل الأغنياء الأقوياء، وأكواخ الفقراء...، ووقفت في المخادع الموشاة بقطع العاج ... وجدت الأطفال يرضعون العبودية مع اللبن...والصبايا يرتدين الملابس المبطنة بالخضوع والخنوع، والنساء يهجن على أسرة الطاعة والامتثال..."⁹، فالعبارات "يرضعون العبودية مع اللبن، الملابس المبطنة بالخضوع، وأسرة الطاعة"، لم تستعمل لمعناها الحقيقي، فالعبودية لا ترضع بل الحليب هو الذي يرضع، فكيف لشيء معنوي أن يكون كذلك، حيث شبّهت بالحليب من باب الاستعارة المكنية، وكذلك الأمر بالملابس المبطنة بالخضوع، فالملابس لا تبطن بالخضوع بل بقماش رقيق فالكاتب شبه هنا الخضوع بالقماش لمدى ملازمته للباس، كذلك بالنسبة لهذه الصفة التي أصبحت ملازمة للصبايا، حذف المشبه به (القماش) وترك المشبه (الخضوع) من باب الاستعارة المكنية، والأمر نفسه بالنسبة لأسرة الطاعة ولتصنيفاته لأنواع العبودية "العبودية العرجاء" والعبودية الرقطاء، والعبودية الجرباء، فهذه الصيغة المعنوية (العبودية) لا يمكنها أن تكون عرجاء ولا رقطاء ولا جرباء فهي صفات للدابة، وقد قرننا بهذه الصفة ليبين مدى بشاعتها.

ولو أخذنا بنص "أخلاق صديق" سوف نلاحظ هذه اللامباشريّة في الحديث من خلال قوله: "كان لي أخ من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عيني؛ كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجا من سلطان لسانه، فلا يقول ما لا يعلم ولا

يماري فيما علم. وكان خارجا من سلطان الجهالة، فلا يتقدّم أبداً إلا على ثقة بمنفعة...¹⁰، فكل من العبارات التّاليّة: "خارجا من سلطان بطنه"، و"خارجا من سلطان لسانه"، وخارجا من سلطان الجهالة" عبارات تجاوزت معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي فليس للبطن سلطان كما ليس للسان والجهالة أيضا ولكن استعملت لذلك مجازا، وهي كنايات متتاليّة لصفات هي "القناعة" في الأولى "الصمت والصدق" في الثانية، والثالثة هي "الحلم"، فدلالة هذه العبارات جاءت معمة كشف عنها بدلالة ما جاء بعدها كقوله: "لا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد"، والثانية بقوله: "لا يقول ما لا يعلم ولا يماري فيما يعلم"، وهكذا قدّم كلّ واحدة منها ثم شرحها بدلالة مباشرة تفسر الدلالة التي سبقتها.

2. 2- التضامن والترابط: تعدّ قيم التضامن والترابط من أهم القيم التي يجب ترسيخها للطفل منذ بدايته الأولى، وقد كان لهذين القيمتين حضور بارز في كتب اللغة العربيّة لهذه المرحلة، إذ تناولت النصوص المقدّمة في هذه الكتب عدّة مواضيع متعلقة بهاتين القيمتين، يمكن اعتبارها قيم صغرى متفرعة عن التضامن والتكافل والترابط، من هذه القيم مثلا تقديم المساعدة للغير، الحثّ على التعاون والتضامن التطوع، الإغاثة، قيمة بثّ التسامح بين النّاس وزيارة الأقارب، احترام الآخرين واحترام ممتلكاتهم، واحترام الحقوق (نصي حقوق الطفل وحقوق المرأة)، بثّ السلم والحفاظ عليه (نص القبعات الزرق)، ونبذ الصراع والعبوديّة (نص العبوديّة)...، إنّ كل هذه القيم أريد بها رسم صورة للمتعلم، في كيفية خلق روح التعاون، والمساعدة والمبادرة الفعالة، من أجل تنشئته في جوّ مترابط متلاحم يقوم على أساس الأخذ والعطاء لا الصراع والتنافر بين أبناء الجماعة الواحدة، أسرة كانت أو مؤسسة أو مجتمع أو وطن...، فتعزيز العمل الجماعي والخيري هو في الأصل أساس كلّ تفاعل وبناء العلاقات بين الأفراد، وكلّما شجّع الفرد على مثل هذه الأعمال الخيريّة

التطوعية وفُعل دورها في المجتمعات، كلما كانت هذه المجتمعات قادرة على مواجهة التحديات التي قد تمرّ بها على اختلافها.

وقد تجسّدت هذه القيم في عدّة نصوص متفرقة في مقاطع تضمنتها هذه الكتب، منها: "التضامن الإنساني"، "الأخلاق والمجتمع"، "حبّ الوطن"، على غرار نص "إيثار امرأة عربية في الصحراء" التي مثّلت دور العمل التطوعي الفردي بتبرعها بما تملك من أكل، محاولة إغاثة القافلة في عمق الصحراء، أمّا في شكله الجماعي فمتجسد في عمل مؤسسات وهيئات خيرية محلية ودولية كالهلال الأحمر الجزائري والصليب الأحمر، والقبعات الزرق (نص القبعات الزرق) و(نص جمعيات تواجه الكوارث)، التي تسعى إلى فكّ الصراعات ونشر السلام والتكفّل بالأسرى، والجرحى والمعطوبين، والمنكوبين، أثناء الصراعات والحروب والكوارث الطبيعية.

ومن أحسن صور التضامن التي أريد تبليغها للمتعلمين في هذه المرحلة التي هو أحوج فيها لتلقي هذه المبادئ – لأنّ هذه المرحلة هي تقريبا مرحلة البناء والوعي – تلك التي جسّدها نص (درهم سلّ)؛ إذ يعدّ من النصوص التي مرّرت فيها هذه القيم في شكل رسائل لغوية دقيقة مضغوطة، وهادفة مصوّرا لنا قيمة التضامن مع المرضى وجمع التبرعات لهم، فالمرضى هنا هم مرضى السلّ، والمتطوعون هم تلامذة الصّف وعلى رأسهم الطفل غريب بإشراف المعلم، " غدا أريد أن يحضر كلّ منكم درهما واحدا فقط ليأخذ من هذه الطوابع التي أمامي طبعاً، مشاركة منه في مكافحة داء السلّ لأنّه بفضل درهمك ودرهم زميلك ودرهم أخرى من أمالكن أخرى سنتمكّن من جمع مال كثير يداوى به مرضانا من السلّ"¹¹، فالنصّ هنا يحمل في دلالته مدى مقدرة العمل التطوعي الجماعي الذي يأتي من هنا وهناك مهما كان بسيطاً على صنع الفارق، وتجاوز المشكلات "درهما واحدا فقط"، وهو دلالة على القلّة وصغر المبلغ المتماشي مع الفئة المساعدة (التلاميذ)، كما يبيّن لنا أيضا مدى

فاعلية المؤسسات التربوية في خلق جوّ تضامني حقيقي، يعايشه المتعلّم عن قرب ويساهم في تأديته، ما من شأنه أن يغرس فيه هذه القيم وفنائها، ويحببها إليه شريطة أن يكون العالم الخارجي (التحسيس والتوعية الأسرية، المساجد...)، مدعماً لذلك لا رافضاً ومستهنئاً بها (والد غريب الذي رفض تقديم الدرهم لولده من أجل التبرع) كما جاء في النصّ: "هيهات أن أعطيك ولو سنتيماً"، إنّ اختيار المدرسة أولاً كمكان لجمع التبرعات، والمتعلم الطفل غريب في هذه المرحلة، يجعل المتعلم يتصوّر نفسه، وكأنّه "غريب" محاولاً وضع نفسه مكانه متمنياً فعل ذلك الشيء وراغباً فيه، ومع أنّ النصّ قد جاء بسيطاً سهلاً قريب المأخذ أحادي الدلالة، إلّا أنّه استطاع أن يوصل المعنى، ويحقّق الغرض والدليل على ذلك بيع الطفل للمحفظة من أجل التبرع بما لها بعد تعنّت والده كما جاء في ختام النصّ: "بعته لأساهم في مكافحة داء السلّ"، تأملاً في شفاء والدته ومرضى السلّ.

وفي نصّ آخر يتعلق بالتكافل الوطني لمفدي زكريا من كتاب السنة الثالثة (اسعفوه)¹²، هذا العنوان الذي جاء في صيغة جملة فعلية فعلها في صيغة الأمر وفاعلها ضمير متصل (الهاء) الذي قصد به الجزائر، هذا الفعل الذي يحمل لنا دلالة معاناة جزائر ما بعد الثورة وحالتها المزريّة التي اقتضت طلب الإغاثة من أبنائه، فالفعل أسعف يستعمل للتعبير عن مريض في حالة حرجة يحتاج إلى المساعدة الفوريّة، وقد تكرّر في مطلع النصّ متبوعاً بفعل آخر غير بعيد عنه دلاليّاً "أنجدوه يا بنيّه"، وذلك حال الجزائر حقا التي صورها مفدي زكريا ما قبل الثورة وما بعدها، من خلال قوله: "إنّما الثّورة روح" من لهب هل الثورة حقا هنا روح؟ وهل هناك روح من لهب؟، فهذه التعبيرات لم تستعمل في دلالتها الحقيقيّة، تحت على المساهمة في خلق التكافل الوطني ومساعدة أخيها الرجل، من خلال تبرّعهنّ بحليهنّ، إذ يقول فيه: "إنّما الثّورة روح من لهب وكفاح لا حلي وذهب، اخلعيه يا

حرائر أودعيه كفّ ثائر، يبق عونا في المخاطر"، فهذه العبارة الأخيرة تحيلنا إلى سبب هذا الطلب من الشاعر وهو حماية الوطن من المخاطر، وهنا تجسيد لقيمة المواطنة الحقيقية المتمثلة في التكافل من أجل الوطن (الجزائر)، وتقديم كل ثمين في سبيل مواجهة كل خطر محدق به، ولو عدنا إلى موضع آخر سوف نجد قد تجاوز قيمة التكافل الوطني إلى التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه من خلال مدّ يد العون والمساعدة للشريد والفقير المتسول والطفل المحتاج الهائم، وذلك من قبل الغني؛ إذ يقول: "كلّ طفل هام في الثّأيا هو جرح يتنزى في الجبين.... وفقير يتسوّ وجريح يتململ... هو عار يتملّل.... في جبين المتمولّ (والمتمولّ هنا هو الغني) هو فاس هو معول، هو تقويض لأركان الكرامة هو تخريب للجزائر.... كيف يحنى الهام في وجه الصّارصر"، فكل هاته الأشكال المصوّرة هنا هم أحقّ الناس بالمساعدات الاجتماعية، وعدم تقديم المساعدة وزرع قيم التكافل والتحابب والتآخي، وكذا التراحم والترابط هو تخريب للمجتمع والوطن وسحق لكرامته، خاصة وأنّ المجتمع أولا والوطن ثانيا بتكافل أفرادهم وعناصره وتلاحمهم وترابطهم ووحدتهم التي تنشأ أولا وقبل كلّ شيء من كل هذه القيم السابقة.

2. 3- التفاعل الاجتماعي: يعدّ التفاعل الاجتماعي "عملية يرتبط بها أعضاء الجماعة مع بعضهم البعض عقلياً ودفاعياً، وفي الحاجات والرغبات، والوسائل والأهداف والمعارف"¹³؛ فهو إذن يتجسّد في تلك التأثيرات المتبادلة التي تحدت بين الأفراد والجماعات؛ حيث يؤثرون ويتأثرون بالآخر، فيها يبدأ كل شخص بفعل اجتماعي يعقبه رد فعل صادر عن شخص آخر، ويحدث ذلك في محاولة من الأفراد لحل مشاكلهم وكفاحهم من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة.

وتتناول مضامين النصوص التعليمية المتعلقة بهذا البعد القيمي، مجموع المفاهيم التي تعمل على تكريس وترسيخ كميّة التفاعل والتماسك بين أفراد المجتمع

بمختلف مستوياته ومؤسسته الصغيرة والكبيرة، بداية بالأسرة والعمل والوطن...،
بالابتعاد عن مختلف السلوكيات التي من شأنها أن تشتت وتفرق الشمل.

يعدّ "نص أخى الإنسان" من أهمّ النصوص المحمّلة بدلالات التّأخى والمشاركة والتحابب، والتجاذب والتفاعل الإنسانى فى أحسن صورته، فيها يصوّر الشّاعر قيم التفاعل بين الإنسان وأخيه الإنسان وكيف يجب أن تكون، بغض النّظر عن لونه أو جنسه أو انتمائه، إذ يقول فى لغة مباشرة بسيطة:

أخي الإنسان في العالم الواسع
أخي الأبيض والأسود
أمدّ يدي فصــــافحها
في المغرب والشرق
في جوهر ك المطلق
تجد قلبي بها يخفق

بِحَبِّكَ يَا أَخِي الْإِنْسَان

لقد جئنا إلى الدنيا	معا لنعيش إخوانا
ونسعد بالحياة معا	أحياء وأعوانا
تعالى لنقم حضارات	معا ولنرفع العمران
وضع يمينك في يميني	في دعة واطمئنان

لنساعد يا أخى الإنسان

إنَّ هذا المقطع يكشف لنا في أسلوب مباشر يتماشى مع المتعلمين في تلك المرحلة، يقوم على أحاديّة الدلالة، ويرتكز على ما يقدّمه بناؤه اللغوي باتحاد الكلمات مع بعضها البعض في غير تعميّة أو إحياء، عن مجموعة من المبادئ المحمّلة بدلالة المحبة، والتأخي(أخي الإنسان)، والتراحم، والتواد، والاتحاد (وضع يمينك في يميني)، والتعايش السّلمي (أمدّ يدي فصافحها)، بغض النظر عن العرق أو الجنس أو اللون(أخي الأبيض والأسود في جوهرك المطلق)، ما من شأنه أن يبيّث السعادة في القلوب (ونسعد بالحياة معا)، وينشر الرحمة والاطمئنان (في دعة واطمئنان)

ويقضي على العنصرية ويعمر الأوطان (لنقم حضارات معا ولنرفع العمران)، فهذه العبارات جاءت سهلة التدفق والاستيعاب، بسيطة وواضحة، كلماتها لم تتجاوز دلالتها الأولى، لكنها تبقى مؤدية للغرض حاملة للقصد.

2. 4- الانتماء: ويقصد به في علم الاجتماع؛ ارتباط الفرد بجماعة يسعى إلى أن تكون قوية، يتقمص شخصيتها، ويوحد نفسه بها كالأسرة والنادي والشركة... وهو مرتبط بالولاء (Allegiance)، ويتفق في المعنى مع (Loyalty) هاته الكلمة التي تستخدم للدلالة على العلاقات والعواطف التي تربط الفرد بالجماعة أو رموزها أو الإخلاص لما يعتقد الفرد أنه صواب (كالأسرة، والعمل والوطن)¹⁴، الذي يتم من خلال تفاصيل العملية التعليمية، فنحن نشعر بالانتماء إذا تمكنا من التعرف على هذا المنتمي إليه، وقد "حرصت المجتمعات المتقدمة على تعميق الشعور بالانتماء لدى شبابها، وذلك لأنه يمثل حجر الزاوية في حياة تلك المجتمعات واستقرارها وتماسكها، بل ومن الدوافع الرئيسة لتقدمها وابتعادها لمنظومة التربية وفكرة الانتماء الاجتماعي"¹⁵، فالانتماء إذا يمكن عدّه غريزة فطرية يحتاجها كل إنسان، الذي عادة ما ينسب لأبيه وأسرته ومن ثم لوطنه وعقيدته¹⁶، فلا يمكننا مثلا أن نحب الوطن مثلا أو نشعر بالانتماء إليه دون أن نعرفه تاريخه انتصاراته وزعماءه وعلماءه ومبدعيه، وجغرافيته، وثرواته، وتضاريسه، ومشروعاته المثمرة من شأنها أن تعزز الانتماء إليه، وكذلك الأمر بالنسبة للانتماء الاجتماعي والأسري... ونستحضر في هذا المقام مثلا نص "في سبيل الوطن" الذي نأخذ منه هذا المقطع الذي يصور الانتماء للوطن:¹⁷

مواطنكم يا قوم أم كريمة	تدرّ لكم منها مدى العمر ألبان
ففي حضنها مهد لكم ومباة	وفي قلبها عطف لكم وتحنان
فما بلكم لا تحسنون وواجب	على الابن للأُم الكريمة إحسان

فهذا المقطع يبين لنا مدى انتماء الشعوب لأوطانها، مجسدا إياه بصورة انتماء الابن لأمه، حيث صوّر هذا الوطن بالأُم الكريمة التي تحتضن أبناءها وتعطف عليهم، وتغمرهم بالحنان، وتجدد عليهم بخيراتها، مقابلا ما يقدمه هذا الوطن بما تقدمه الأم الحنون المضحية صاحبة الصدر الدافئ، فاستعار الشاعر هذه الصورة المعبرة، وعبر بها عن ما يمثله الوطن للقوم الذين يخاطبهم الشاعر، وليس بعيدا عن هذا، يتجلى لنا هذا الانتماء الذي يتجاوز مجرد الترابط ليصل إلى درجة الحلول والتماهي، والفناء في لغة صوفيّة تحاكي لغة العلاج يمثّلها لنا نص (أرض الوطن) الذي جاء فيه: "ما أنت أيّها الوطن إلّا أنا في أجلّ المعاني وأرحبها. وما أنا إلّا أنت أيّها الوطن في أرقّ تلك المعاني وأضيّقها، لست أنا إلّا بضعة منك، انفصلت عنك ولكنها تدور في فلكك بجاذبيّتك، وستظل في مدارها حتّى يحين الحين فتفنى فيك. منك انبثقت، وإليك أعود... لا مفاضلة بيننا ولا انفصام"¹⁸. إنّ اللغة التي كتب بها هذا النص لغة تبدو في مجملها سهلة المنال قريبة المأخذ، لكنها في الحقيقة مشحونة بطاقة تعبيرية محمّلة بالمشاعر، وقيم وطنية تاريخية أيديولوجية عميقة المدى والأبعاد، ما إن أدركها المتعلّم عرف معنى الوطنية الانتماء للوطن حقّا، وقد أدّت هذه الطاقة إلى تولد المعاني وانفجارها، يقوله في البداية: "ما أنت أيّها الوطن إلّا أنا...وما أنا أيّها الوطن إلّا أنت"، فهذه العبارة الموجزة المضغوطة فتحت المجال لتوالد المعنى أمام الكاتب الذي استفاد في شرح هذا الحلول بعبارات أخرى معبرة عنه شارحة إياه ومكمّلة له في آن واحد: "لست أنا إلّا بضعة منك، انفصلت عنك ولكنها تدور في فلكك بجاذبيّتك، وستظل في مدارها حتّى يحين الحين فتفنى فيك. منك انبثقت، وإليك أعود... لا مفاضلة بيننا ولا انفصام"، وهو كلام غير بعيد تماما عن سابقه، ما يوضح لنا استحالة انفصال الشخص عن وطنه فمهما ابتعد عنه تشدّه إليه روابط وأواصر الانتماء التي تعلّقه به مدى الحياة.

أمّا بالنسبة للانتماء الاجتماعي والعائلي، فنمثّل له بعدة عناوين لنصوص تضمّننها هاته الكتب في السنوات الأربع منها: "رعاية جدّتي" (النص المنطوق) "هدية لأمي"، "في سبيل العائلات"، سهرة عائلية"، "العودة إلى الوطن"... من كتاب

السنة الثَّانِيَّة، ونص "أحبَّ العاملين"، "الأب النَّشيط" في كتاب السنة الرابعة، أمَّا بالنسبة لكتاب السَّنة الأولى فتشَدَّ انتباهنا نصوص بعناوين "ابنتي"، "أبي"، "رسالة إلى ولدي"، "رسالة إلى أمِّي"، "قلب أمِّي"، "أنا وابنتي"، "في كوخ العجوز رحمة" و"الوطني" وكلها عناوين توحى بالانتماء الأسري وبالضبط الانتماء إلى الوالدين خاصة الأم، لأنَّ الطفل في هذه المرحلة لا يزال مشدودا إلى والديه أكثر، ولم يصل بعد إلى مرحلة الاستقلاليَّة والنضج العقلي الذي يمكنه من التفكير في الوطن والمجتمع، لكن هذا لا يعني غياب الأبعاد الأخرى، إذ هناك نصوص توحى من عناوينها بالانتماء للوطن على غرار نص "الوطني" و"فداء الجزائر"، ومن كتاب السَّنة الثَّالِثة "ولي التلميذة"، "السَّكَّير والملاك" (الذي يحكي علاقة الأب السَّكَّير بابنته) ...، وغيرها من النصوص الأخرى التي تبين الانتماء الحضاري والثقافي للفرد الجزائري ما ليس بإمكاننا ذكره في هذا المقام، أريد بها تعزيز انتماء التلاميذ لوطنهم ولمجتمعهم ولأسرتهم ولثقافتهم.

2. 5- القيم الوطنيَّة: تعدّ قيم الوطنيَّة من أهمِّ القيم حضورا في المضامين التعليميَّة لهذه النصوص، حيث أفرد لها مقطعا خاصا بها تحت عنوان: "حبَّ الوطن" في كتابي السَّنة الثَّانِيَّة والسَّنة الأولى من التعليم المتوسط، في حين جاءت متفرقة في كتابي السنة الثَّالِثة والرَّابعة، على غرار نص "في سبيل الوطن"، الذي نستحضره في هذا المقام أثبت فيه صاحبه عدَّة قيم وطنيَّة؛ كالتَّأخي، تجاوز الأحقاد النقاني في خدمة الوطن، والتناصر والتعاون من أجل بنائه والحفاظ عليه، الانتماء الوطني، إذ يقول:¹⁹

فبينى على أسِّ المؤاخاة بنيان	أما أن أن تنسى من القوم أضغان
فتكسب عزًّا بالتناصر أوطانا	أما أن أن يرمى التخاذل جانبا
فتعمر بلدان وتأمّن قُطّان	وما ظرّ لو كان التعاون ديننا

لقد شكّلت لغة هذا المقتطف مستويين من الاستعمال؛ استعمال مباشرة وآخر غير مباشر، الأول في قوله: "أما أن أن تتسى من القوم أضغان"، وكذا: "فتكسب عزّا بالتناصر أوطانا" وهو معنى ظاهريّ يقصد به تجاوز الاحقاد، أمّا باقي الأشطر فتقريباً كلها مجازيّة تجاوزت المعنى الظاهريّ إلى معنى آخر، باعتماد الفعل التأويلي الذي ينطلق من الخطاب المقدم لنا في سلسلته الخطيّة المشكلة من كلمات لم تستعمل في أصلها لمعناها الحقيقي، ولنبدأ بشرط البيت الأول: "قيّني على أس المؤاخذة بنیان"، فالبنیان لا يبنى على أس المؤاخذة، بل على أس مكوّن من مواد البناء، وقد استعيرت المؤاخذة بدلا منها لما لها من دور في بناء المجتمعات إن لم نقل أنها أساس بنائها وقوامها الحقيقيّ، وكذلك الأمر بالنسبة لـ: "أما أن أن يرمى التخاذل جانباً" فالتعاون شيء معنوي لا يمكن رميه، ما يرمى في الحقيقة هو الحجر أو شيء ماديّ حاجة ولا نفع لنا فيه، فشبه التخاذل لعدم منفعته، بحجر أو شيء مادي لا قيمة له يرمى جانباً لحقارته وعدم جدواه كقيمة سلبيةّ يجب التخلي عنها، ويحلّ محلها التناصر من أجل بناء عزّ الأوطان. فالشاعر عمد إلى الاتيان بقيم سلبيةّ هي سبب خراب المجتمعات والأوطان، ومقابلتها بقيم إيجابيةّ نظيرة لها تعوّضها وتحل محلّها ليبين مدى سلبية الأولى حتى يتجنّبها المتعلّم، وإيجابية الثّانية (قيم فاضلة) من جهة حتى يتعلّمها ويأخذ بها.

إنّ الأمثلة التي يمكننا إدراجها في هذا المجال كثيرة؛ فهناك نصوص تحمل في مجملها أبعاداً قيميةً ووطنيةً، أريد تبليغها للقارئ المتعلّم، مثل بثّ الشعور بالانتماء إلى هذا الوطن، وحبّه وخدمته وبنائه، وكذا حمايته والدفاع عنه، والمحافظة على تماسكه، فالاهتمام بالقيم الوطنيّة وإدراجها في مواضيع لنصوص تعليمية ليس بالأمر الذي ليس له أهمية، بل يعدّ من أهم المرتكزات في السّلم القيمي الذي يتوجب على المتعلّم أن يتعلّمه منذ مراحله الأولى، فمتعلّم اليوم هو المواطن الخادم لوطنه

في المستقبل والمساهم في بنائه والمدافع عنه، وعلى هذا الأساس كلما تشبع الطفل بهاته القيم كلما كان فردا نافعا لوطنه ومجتمعه.

3. خاتمة:

يمكن أن نخلص إليه من خلال بحثنا هذا؛ إلى أن المؤسسات التربوية مؤسسات اجتماعية مهمة جداً في المجتمع، لما يوكل لها من دور فعال في تكوين النشء وبنائه حتى يكون صالحا داخل المجتمع - فصلاح المجتمع من صلاح أفراده - قدارا على المساهمة في بنائه، يدرك ما له من حقوق، ويعرف ما عليه من واجبات تمكنه من ممارسة مهامه على أكمل وجه، من خلال ما تركزه من آليات ووسائل مساعدة على ذلك أهمها الكتاب المدرسي، الذي يعدّ من أهم الوسائل التعليمية التي يمكن لا يمكن الاستغناء عنها كانت الظروف، إذ فيه يقدم مختلف المعارف، والمعلومات، والخبرات، والقيم المراد إيصالها للقارئ المتعلم في شكل نصوص بصفة خاصة، فتمرر هذه الخبرات والقيم في شكل رسائل لغوية محملة بما يراد تقديمه أو تعليمه، وتكون كفيّة - إن تلقاها المتعلم على أحسن وجه - تنمية رصيده وتمكنه منها .

- جاء الكتاب المدرسي للغة العربية في مرحلة التعليم المتوسط محمّلا بمجموعة لا بأس بها من القيم الاجتماعية، شملت مختلف المبادئ التي يكون للمتعلم بحاجة إليها من أجل بناء شخصيته وتقويم سلوكياته داخل المجتمع، تراوحت بين القيم الأخلاقية، والوطنية، وقيم التعاون والتضامن، والانتماء...، ممّا يشكّل هويّة الفرد الجزائري، حيث عمدت اللجان المسؤولة عن وضع هذه الكتب، على تقديم نصوص متنوعة المضامين تصب في مجال القيم الاجتماعية، جاءت في مجملها متماشية مع مستوى المتعلمين في هاته المرحلة، سيقّت بمستويين من الخطاب؛ خطاب مباشر يعتمد اللغة السهلة المباشرة غير القابلة للتأويل، وآخر غير مباشر يقوم على ضلال دلالية وحمل أوجه للتأويل، ما شكّل مستويين من الدلالة أيضا؛ دلالة مباشرة أساسية،

وأخرى غير مباشرة إيجابية اعتمدت على أساليب مجازية، تزامت في هاته النصوص مع سابقتها من أجل تجسيد المعنى وتقويته أكثر.

- إن هذه القيم كمفاهيم وأفكار موجدة في كتب اللغة العربية، وما علينا إلا تعزيزها بسلوكيات مجسدة فعلياً، بتلقّنها التلاميذ في شكلها الفعلي لا المفهومي اللفظي، عن طريق تنظيم حملات وأنشطة تركزها، يتولى القيام بها المتعلمون وتشرف عليها المؤسسات التربوية، كحملات التبرع، والتضامن ...، لأن هذه القيم ما لم تمارس فعلاً، ستظل مجرد مفاهيم وأفكار حبيسة الأدهان، وهذا هو مكنم النقص الخل فعلاً، فالترسيخ يكون بالممارسة والفعل لا بالتلقين والحفظ.

- ¹ شادية التل، المنظومة القيمية لطلبة جامعة الزرقاء الأهلية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 1، 2003م، ص15.
- ² عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات، جسر للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص13.
- ³ حنان مرزوق حسين أحمد، فاعلية برنامج لتنمية بعض القيم لأخلاقية لأطفال الشوارع، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر، 2004، ص1.
- ⁴ مولود غرمول وآخرون، اللغة العربية السّنة الثّانية من التعليم المتوسط، أوراس للنشر، الجزائر، 2017، ص71.
- ⁵ المرجع نفسه، ص72.
- ⁶ المرجع نفسه، ص81.
- ⁷ المرجع نفسه، ص82.
- ⁸ المرجع نفسه، ص72.
- ⁹ المرجع نفسه، ص82.
- ¹⁰ كتابي في اللغة العربية للسّنة أولى متوسط، ص80.
- ¹¹ كتاب اللغة العربيّ السّنة الثّانية من التعليم المتوسط، ص83.
- ¹² مولود غرمول وآخرون، كتاب اللغة العربية للسّنة الثّالثة من التعليم المتوسط، ص5.
- ¹³ المرجع نفسه، ص62.

- ¹⁴ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1982، ص 137.
- ¹⁵ باسم محمد ولي، محمد جاسم محمد، مدخل علم النفس الاجتماعي، مكتبة دار الثقافة، عمان (د ط)، 2004، ص 8.
- ¹⁶ عبد الباسط هويدي، المنظومة التربوية وفكرة الانتماء الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، الع 26، سبتمبر 2016، ص 94
- ¹⁷ كتاب اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم المتوسط، ص 82
- ¹⁸ المرجع نفسه، ص 32.
- ¹⁹ كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم المتوسط، ص 123.